بلاغة الإضراب في القر آن

م .م صباح محمد حسين
جامعة ديالى – كلية العلوم الإسلامية

ملخص البحث

ان الإضراب يعني الامتناع ولكن في القران يعني معاني شتى ، لذا فالإضراب يصور لنا صور كثيرة في القران اذ تتعدد الصور باختلاف المعنى ، واللفظة القرآنية عندما تكون في إطار الإضراب تترك اثرا نفسيا لدى السامع ، بل يوفر حالة من الانسداد نحو النص ، فالألفاظ تتغازل فيما بينها لتوفر المعنى الذي يمتد على مر الأزمان فالقران هو لكل عصر ومصر والقران بحر تكمن فيه درر وجواهر ونحن خلال هذه الدراسة سنحاول إبراز صورة من صور الجمال الذي عرف في النص ألقراني ، الجمال الفني الذي اتهم الرسول (ص) بالسحر وانه شاعر وغير ذلك عندما سمعوا آيات الله ، وتتلخص هذه الدراسة بتمهيد مبيننا فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي ومشيرا إلى الحروف التي أفادت هذا المعنى ، وثلاثة مباحث : الأول حول بلاغة الإضراب الابطالي ، وبينت ما المراد بالإضراب الابطالي وهو إبطال معنى جملةوإثبات معنى جملة أخرى ، وبينت هل يمكن أن يكون إبطالا في القران ؟ ، وأشرت إلى اختلاف أقوال العلماء فيه وذكرت أراءهم باختصار إذ ذهبوا به مذهبين معارض وموافق ، وأشرت إلى مجمل النصوص الواردة في القران والتي أفادت معنى الإضراب الابطالي وقد تجنبت النصوص المتكررة في القران والمتشابهة من حيث المعنى ، المبحث الثاني تناولت فيه القسم الثاني وهو الاضرا ب الانتقالي وهو ما ينتقل بنا من صورة إلى أخرى وذكرت النصوص القرآنية الدالة عليه ، والمبحث الثالث كان في القسم الأخير من أقسام الإضراب وهو الإضراب عن جملة محذوفة وهو قليل جدا في القران أنهيت البحث بخاتمة ونتائج البحث التي توصلت إليها .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمـة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الله تعالى قد ختم الرسالات السماوية برسالة محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وبكتابه خاتم الكتب ألا وهو القرآن الكريم ، وقد أنزله بلغة العرب كما قال تعالى : {**إِنا انزلناه قرآنا عرَبِيا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** }(١)

ولما كان العرب قد بزّوا غيرهم بالفصاحة والبيان ، فكان القرآن الكريم معجزا بلفظه ومعناه، فتحداهم بما هم متميزون به ، فعجزوا عن مجاراته ، وسلّموا له في نهاية المطاف ، قال تعالى: {**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**}(٢) لذا فأنَّ العلماء والباحثين، مسلمين وغير مسلمين، قدامى ومحدثين، قد قالوا وكتبوا كثيرا في (البلاغة القرآنية)، وأثبتوا بمقالاتهم وكاباتهم أنَّ التعبير القرآني يمثل أرقى أنواع البيان العربي، فإنَّ أي موضوع فيه يبقى بكرا وحديثا. وخير دليل على حداثته هو أنَّنا نتحسس تأثيره فينا تأثيرا لا يُحدثه أيُّ تعبير فنيّ آخر، مهما بلغت درجة فصاحته وبلاغته، ولنبرهن على ذلك لا بدَّ من أن نقف عند بعض السمات التعبيرية من وحي البلاغة القرآنية.

ولأنَّ قضايا التعبير القرآني وظواهره كثيرة، وليس لأحدٍ أن يستقصيها في بضع دراسات، فقد آثرت أن أقف عند بعض هذه القضايا والظواهر، وأن أبدأ بظاهرة (الإضراب) كأحد أساليب القران نجد فيه صور بلاغية جميلة جدا سوف نبينها خلال بحثنا هذا ، وسوف ندلي بدلونا في خضم هذا البحر الزاخر الذي لاينفد مداده متبعين في ذلك من سبقنا في هذا الباب ، والإضراب هو الامتناع بالمعنى العام له ، ويتعدد معناه حسب تقسيماته فقد يكون ابطاليا فيبطل المعنى الأول ويثبت الثاني وقد يكون انتقاليا فينتقل بنا من معنى إلى معنى آخر وقد يكون دالا عن جملة محذوفة وهذه التقسيمات الثلاثة تمثل مفاصل البحث ، التي تتلخص بتمهيد وثلاثة مباحث التمهيد ذكرت فيه معنى الإضراب لغة واصطلاحا وأقوال العلماء فيه وذكرت الحروف التي أفادت الإضراب وأشهرها (بل) . بعدها عرجت إلى المبحث الأول وجعلته في الإضراب الابطالي مبيننا معناه ولم سمي ابطاليا وهل يمكن ان يكون إبطالا في كلام الله وأشرت إلى انقسام العلماء في هذا القول وبينت حجج من أجاز وحجة من منع ، وعرضت مجمل الآيات الدالة على

---

(١) سورة يوسف :٢

(٢)سورة الإسراء : ٨٨

الإضراب الابطالي مبيننا الصورة البلاغية التي أفادها الإضراب من بيان حقيقة المعنى المتوخى من النص القرآني .أما المبحث الثاني فجعلته في الضرب الثاني من الإضراب وهو (الإضراب الانتقالي) بينت معناه وأشرت إلى جميع النصوص الدالة على هذا القسم من الإضراب بعدها انتقلت إلى المبحث الثالث وهو إضراب عن جملة محذوفة وأشرت ان مواضعه في القران تكون قليلة ، وقد يندرج بعض الأحيان تحت القسمين السابقين .بعدها أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها خلاصة ما توصلت إليه هذه الدراسة .هذا والحمد لله أولا وأخرا .

التمهيد :

الإضراب لغة : هو الكف والإعراض يقال : أعرضت عن الشئ أي كففت وأعرضت عنه(١) ،قال ابن منظور: أضربت عن الشيء: كَفَفْتُ وأَعْرَضْتُ. وضَرَبَ عنه الذِّكْرَ وأَضْرَبَ عنه: صَرَفَه. وأَضْرَبَ عنه أَي أَعْرَضَ.... والأَصل في قوله: ضَرَبْتُ عنه الذِّكْرَ، أَنَّ لراكب إِذا رَكِبَ دابة فأَراد أَن يَصْرِفَه عن جِهَتِه، ضَرَبَه بعَصاه، ليَعْدِلَه عن الجهة التي يُريدها، فوضعا لضرب موضعَ الصَّرْفِ والعَدْل. يقال: ضَرَبْتُ عنه وأَضْرَبْتُ .... ويقال: ضَرَبْتُ فلاناً عن فلان أَي كففته عنه، فأَضْرَبَ عنه إِضْراباً إِذا كَفَّ. وأَضْرَبَ فلانٌ عن الأمر فهو مُضْرِبٌ إِذا كفّ (٢).والإضراب مصدر أضرب و في العرف الكف عن عمل ما[٣] ، وقيل اضرب عنه أي اعرض عنه، قال تعالى: **أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ }**[٤] . والاضراب اصطلاحا هو :(هو الإعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه، نحو: ضربت زيداً بل عمراً.)(٥) فأنت أردت أولا أن تخبر عن ضربك زيدا ثم ظهر لك انك غلطت فأضربت عنه إلى عمرو . وعرفه الكفوي في الكليات بقوله :(الإضراب الإبطال والرجوع وعند النحاة له معنيان إبطال الحكم الأول والرجوع عنه إما لغلط أو لنسيان كقولك (قام زيد بل عمرو) و (ما قام زيد بل عمرو) والثاني إبطال الأول لانتهاء مدة ذلك نحو قوله تعالى { أتأتون الذكران } ثم قال { بل أنتم قوم عادون } كأنه انتهت مدة القصة الأولى فأخذ في قصة أخرى ولم يرد أن الأولى لم تكن والإضراب يبطل به الحكم السابق)(٦) والى هذا التعريف ذهب التهانوني ((كشاف اصطلاحات الفنون))(٧) وقيل في الإضراب أيضا هو الإعراض عن الشئ تركا وإهمالا بعد الإقبال

---

(١) ينظر مادة ضرب في الصحاح للجوهري تحـ الشيخ عبد الغفور عطار ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز ابادي ، وتاج العروس للزبيدي

(٢) ينظر :لسان العرب ابن منظور ، مادة: ضرب ،ج١: ٥٤٧

(٣) ينظرالمعجم الوسيط ،باب الضاد ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحـ :مجمع اللغة العربية،ج١ :١١١٢

(٤)سورة الزخرف : ٥

(٥) التعريفات ،الشريف علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت :٢٩

(٦) الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحـ: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١ : ١٩٥

(٧) ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوني ، تحـ د . لطفي عبد البديع .دار الكتاب العربي ،ج٢ : ٢٨٠

عليه(١) .وان افضل من حدد معنى الاضراب اصطلاحا الرضي بقوله : (ومعنى الإضراب: جعل الحكم الأول، موجبا كان أو غير موجب: كالمسكوت عنه بالنسبة إلى المعطوف عليه، ففي قولك: ما جاءني زيد، بل عمرو، أفادت (بل) أن الحكم على زيد بعدم المجئ كالمسكوت عنه، يحتمل أن يصح هذا الحكم فيكون زيد غير جاء، ويحتمل ألا يصح فيكون قد جاءك، كما كان الحكم على زيد بالمجئ في: جاءني زيد بل عمرو، احتمل أن يكون صحيحا وألا يكون)(٢).والبعض يرى ان معنى الإضراب أن يجعل المتبوع في حكم المسكوت عنه لا ان ينفى عنه الحكم قطعا(٣)

اما حروف الإضراب فأشهرها (بلْ)وهِيَ: إضْرابٌ عن الأوّلِ للثاني إن تَلاها جُملة كان معنى الإضْرابِ :إمَّا الإبْطالَ {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ}(٤) وإمّا الانتقالَ مِن غَرَضٍ إلى غَرَضٍ آخَرَ كقوله تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}(5) وإن تلاها مُفْرَدٌ فهي عاطِفةٌ يُعْطَفُ بها الحرفُ الثاني على الأوّلِ(٦) وجاء في الأصول لابن السراج (بلْ: ومعناها الإِضراب عن الأول والإِثبات للثاني نحو قولك ضربتُ زيداً بلْ عمراً وجاءني عبد الله بلْ أخوهُ وما جاءني رجلٌ بل امرأةٌ)(٧)وهي تفيد الإضراب عند الكوفيين دون قيد اما سيبويه فأجاز ذلك بشرطين:تقدم نفي أو نهي، وإعادة العامل، نحو ما قام زيدٌ أو ما قام عمرو ولا يقم زيدٌ أو لا يقُم عمرو(٨) ، وقد تُزاد قَبْلَها "لا"لتوكيد الإِضراب ومن معاني (بل) الأخرى العطف والاستدراك أحياننا .وعرفها ابن عاشور بقوله : (بَل : حرف معناه الجامع هو الإضراب ، أي انصراف القول أو الحكم إلى ما يأتي بعد (بل) ؛ فهو إذا عَطَف المفردات كان الإضراب إبطالاً للمعطوف عليه :لغلط في ذكر المعطوف أو للاحتراز عنه فذلك انصراف عن الحكم وإذا عطفَ الجمل فعطفه عطف كلام على كلام وهو عطف لفظي مجرد عن التشريك في الحكم ويقع على وجهين ، فتارة يقصد إبطال معنى الكلام، فهو انصراف في الحُكم ، وتارة يقصد مجرد التنقل من خبر إلى آخر مع عدم إبطال الأول.(٩)

---

(١) ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحـ:دمحمد رضوان الداية ،دار الفكر –بيروت ،ج ١ : ٧١ .

(٢) شرح الكافية ، للرضي الاسترابادي ،تحـ :الشيخ حسن يوسف عمر ،مطابع الشروق بيروت ، ٤ : ٤١٧-٤١٨

(٣) ينظر : مختصر المعاني ، سعد الدين التفتازاني ، ١ :55

(٤) سورة الانبياء : ٢٦

(٥)سورة الاعلى : ١٦

(٦) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي،١ :٦٨٩٤

(٧) الاصول في النحو ، أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي،تحـ: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت،ج ٢ :٥٧.

(٨) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، ج ١ : ٢٣

(٩) ينظر التحرير والتنوير ج ١٦ : ٢٢٦

ومن الحروف الأخرى التي أفادت معنى الإضراب هي (أَمْ) وهي التي تكون لقطع الكلام الأوّل واستئناف ما بَعْدَه، ومعناه الإِضراب، كقوله تعالى **قُلْ {هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ}**[(١)] والمعنى "بل جعلوا لله شركاء"، قال الفرّاء يقُولون هل لكَ قِبَلنا حقٌّ؟ أم أنتَ رجلٌ ظالمٌ" يريدون بل أنت رجلٌ ظالمٌ".(٢) ومن الحروف التي تأتي بمعنى الإضراب (أو) وقد ذكر الفراء (او) يأتي بمعنى (بل)(٣)، واستشهد بقوله تعالى **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ}**(٤)وذكر سيبويه أنها تكون للإضراب مستصحبا شرطي (بل) وزعم بعض النحويين أنها تكون للإضراب بصورة مطلقة واستدلوا بقوله تعالى آنفا، أجاز الكوفيون موافقتها بل في الإضراب مطلقا دون قيد (٥). ويأتي (لكن) للإضراب اذا كانت حرف ابتداء (٦) ، ومنها قوله تعالى لَكِنِ {اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ}(٧)
إِلَيْكَ}(٧)

ويأتي الإضراب في القران بثلاثة أقسام ، إضراب إبطالي وإضراب انتقالي وإضراب عن جملة محذوفة وهذا ما سنبينه من خلال المباحث الثالثة آلاتية .

المبحث الأول

بلاغة الإضراب الابطالي

لقد عمد العلماء الى بيان معنى الإضراب الإبطالي،لذا عرفوه بقولهم : هو إبطال الحكم السابق ونفي مضمونه، والانتقال عنه إلى ما بعده (٨) ، وعرف أيضا :(هو إبطال الأول والرجوع عنه أما لغلط أو نسيان)(٩) ، ومثال ذلك قولنا : جاء زيد بل سافر ، اذ لايمكن الجمع بين مجئ زيد وسفره فبطل المجئ واثبت السفر .

وليتضح لنا معنى الإبطال نبين المراد بالغلط والنسيان (فالغلط : وضع شئ على غيره بمضي الوهم إليه ثم يظهر المقصود) فبعد ان يجري اللسان بالمتبوع من غير قصد يتبين هذا الغلط ، كقولك : رأيت رجلا بل امرأة فأنت أردت أن تقول رأيت امرأة فسبقك لسانك الى رجل ثم أضربت عنه فقلت امرأة .أما النسيان (وضع شئ على غيره من غير علم به ولا خطور

---

(١)سورة الرعد : ١٦
(٢) ينظر : البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها ،ج ١ : ٤٤٢
(٣)ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ، ابن أمّ قاسِم المرادي ، ج ١ :٣٨
(٤)سورة الصافات : ١٤٧
(٥) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ، ابن أمّ قاسِم المرادي ، ج ١ :٣٨
(٦) ينظر المصدر نفسه ، ج١ : ١٠١
(٧)سورة النساء : ١٦٦
(٨) ينظر : تعجيل الندى بشرح قطر الندى ، عبد الله بن صالح الفوزان ،ج١ :٢٦٣.
(٩) شرح المفصل لابن يعيش النحوي ، ج٨ : ١٠٥

بالبال) اذ يذكر المتبوع قصدا ثم يتبين له فساد قصده فيعدل عنه كقولك : عندي رجل بل غلام ، حيث قصدت أولا أن تخبر عندك رجل فظهر بطلان قصدك فان الذي عندك هو غلام . وعلى كلا المعنيين يتحقق معنى الإبطال ، وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن هل يمكن ان يكون كل ما قلنا في الإضراب الايطالي في كلام الله (القران) وكيف ؟ وقد وعد الله بحفظ كتابه الكريم في قوله :**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** }(١).

ومن خلال تحديدنا لمفهوم الإضراب نلحظ ان هناك فرقا كبيرا بين كلام العرب وكلام الله عز وجل ، فمحال ان يقع الغلط والنسيان في كلام الله حتى يضرب عنه كما هو الحال مع كلام البشر وهذا ما دعا بعض العلماء إلى القول بان الإضراب في القران انتقاليا فقط ولا وجود للإضراب الابطالي .ومنهم ابن الحاجب(٢) وابن مالك(٣) .

ألا أنا دققنا النظر في النصوص القرآنية نجد أن الإضراب بنوعيه(الابطالي ،والانتقالي) موجود في النصوص القرآنية ، إلا أن الإبطال الوارد في القران ليس عن غلط أو نسيان أنما هو لإبطال أقوال الكفرة فمن المتفق عليه بين جميع العلماء انه لا وقوع للغلط في القران لأنه كلام الله وهذا ماجعل أبو حيان التوحيدي يقول : (بل للإضراب والانتقال من غير شئ إبطال لما سبق وهكذا تجئ في كتاب الله تعالى ، إذا كان ما بعدها من إخبار الله لا على سبيل الحكاية عن قوم)(٤) فان كان على سبيل الحكاية جاز وقوع الإضراب الابطالي والى هذا هذا المعنى أشار الصبّان بقوله :(إذا كان المضرب عنه الكلام المقول كانت "بل"للإضراب الابطالي ، أما إذا كان المضرب عنه القول فـ"بل"للإضراب الانتقالي ، اذ الإخبار بصدور ذلك منهم ثابت لا يتطرق إليه إبطال)(٥) فآراء العلماء في هذا الامر قسمين : الاول : منع ورود الإضراب الابطالي في القران ومنهم ابن الحاجب وابن مالك . والثاني : يرى بجواز ورود الإضراب الابطالي إلا أن الإضراب يقع في كلام الكفرة والمنافقين وليس في كلام الله .وسنبين ذلك بمثال{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ }(٦)ففي هذا النص وردت بل وأفادت الإضراب ويمكن ان نقول انها افادت كلا النوعين على راي من قال بالاضراب الانتقالي فقط للانتقال على سبيل الاخبار عنهم ، لان مايخبر به الله ثابت لا يتطرق اليه الشك فتكون اضرابا عن القول وعلى راي من قال بالإضراب الابطالي للدلالة على إبطال ما دعوه من اتخاذ الله ولدا فتكون إبطالا للمقول . ولو امعنا النظر في القولين نجد ان للنص افق واسع في

---

(١)سورة الحجر : ٩

(٢) ينظر : الايضاح في شرح المفصل ، ابن الحاجب ، تحـ : د . موسى بناي العليلي ، ج ٢ : ٢١٤

(٣)ينظر : شرح الكافية الشافية ، ج ٣ : ١٢٣٣

(٤) البحر المحيط ، ابو حيان التوحيدي ، ج٤ : ١٠٣

(5) حاشية الصبان على الاشموني ، ج٣ : ١١٣

(٦) سورة الانبياء : ٢٦

المعنى يتحرك به بانسيابية وهذا ما يكشف لنا عمق الدلالة القرآنية على إعطاء المعنى الذي يقيده النص وهو صورة من صورالاعجاز البلاغي .وفيما يلي سوف نقوم بعرض نماذج من الايات الدالة على الإضراب الابطالي

نماذج من الإضراب الابطالي في القران :

- قال تعالى : **{وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ }** (١)ا ن هذا النص يصور لنا اهل الباطل الذي اصم الله اذانهم واعمى ابصارؤهم بكفرهم وبعدهم عن طلب الحقيقة واليهود من ادق المصاديق لهذا النص القراني فقد جاؤا مخاطبين النبي الاكرم محمد (ص) يامحمد ان قلوبنا في اكنة وعليها غلاف وهم بذلك يريدون ان يموه عن حقيقة ما وهي ان هذا الغلاف الذي ادعوه على قلوبهم هو من صنع ايديهم وليس من الله كما ارادوا ان يهمون السامع فجاء الإضراب ب(بل) لدحض دعواهم فالإضراب هنا ليس عن لفظ المقول لأنه واقع لا محال وإنما الإضراب عن النسبة التي تضمنها قولهم ان قلوبنا غلف ، فالقلوب كلها مفطورة على تقبل الهداية وإدراك الصواب وأما الغلاف انما انتم جعلتموه وصنعتموه بكفركم وابتعادكم عن منهج الحق لذا تستحقون ان تلعنوا فعلل سبب لعنتهم (بِكُفْرِهِمْ) وليس هذا فحسب بل نبانا بان المؤمنون منهم قليل جدا فأسلوب الإضراب رسم لنا هذه الحقيقة بأدق شكل وأوضح صورة(٢) .
- **وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }**(٣)ان قصص اليهود في القران هي الأكثر لأنهم لم يتركوا طريقا للباطل إلا سلكوه وجاء القران ليكشف الباطل واهل الباطل ويبين زيف طرقهم وأباطيلهم وليكون المسلمون على مر العصور منهم على حذر فهذا النص يكشف لنا ادعاءا آخر من ادعاءات اليهود الباطلة والتي لاتستند إلى أي حقيقة تثبت عندها فقد زعموا أن الهدية مختصة بصنفين فقط من الديانات التي ينتمون لها هم وهي (اليهودية والنصرانية) الا ان الرد الالهي جاء على لسان نبيه يامحمد قل لهم اننا لا نكون كما تريدون وملة ابراهيم كانت مخالفة لدينهم ولذلك اضرب الله عن قولهم ب(بل)(٤) ، فجاءت بل لابطال

---

(١)سورة البقرة : ٨٨

(٢) ينظر : جامع البيان عن تاويل أي القران ، الطبري ،ج١ : ٤٠٨، وينظر : البحر المحيط ، اوحيان التوحيدي ،ج١ : ٣٠١

وينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ، الزمخشري ، ج ١ : ٢٩٥

(٣)سورة البقرة : ١٣٥

(٤) ينظر الجامع لاحكام القران ، القرطبي ، ج٢ : ١٣٩،والبحر المحيط ،ج١ : ٣٠٥-٤٠٦

مقولتهم{كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا}واثبات ان الملة الحقيقية هي ملة الحق وهي ما أنت عليه يامحمد وهي ملة إبراهيم (ع)(١) .

- قال تعالى: {وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ }(٢)لقد نزلت هذه الاية في واقعة بدر الكبرى وفيمن استشهد من المسلمين في هذه المعركة وهي الأولى من نوعها للمسلمين فجاء القران ليخفف عنهم ماهم به من حزن على من استشهد في هذه المعركة فلا تقولوا قتل فلان وقتل فلان وذهب من نعيم الدنيا بل ان من قتل انما عاش الحياة الأبدية[3] {فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }[4] فجاء الإضراب هنا إبطالاً لمضمون المنهي عن قوله ، والتقدير بل هم أحياء ، وليس المعنى بل قُولوا هم أحياء لأن المراد إخبار المخاطبين هذا الخبرَ العظيمَ ، فقوله : «أَحْيَآء» هو خبر مبتدأ محذوف وهو كلام مستأنف بعد (بل) الإضرابية .وإنما قال : (ولكن لا تشعرون) للإشارة إلى أنها حياةٌ غير جسمية ولا مادِّيَّة بل حياة روحية ، لكنها زائدة على مطلق حياة الأرواح ، فإن للأرواح كلها حياة وهي عدم الاضمحلال وقبول التجسد في الحَشْر مع إحساس ما بكونها آيلة إلى نعيم أو جحيم ، وأما حياة الذين قتلوا في سبيل الله فهي حياة مشتملة على إدراكات التنعم بلذات الجنة والعوالم العلوية والانكشاف الكاملة(٥).
- قال تعالى : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}(٦)يبين هذا النص مشهد من الخطاب بين النبي محمد(ص) والكافرين إذ يدعوهم إلى الحق وإتباع ما انزل الله اليه من منهج حق المتمثل بالقران الا انهم يردون عليه منكرين قوله ومثبتين ما في قلوبهم من باطل وهو إتباع آبائهم فجاء هنا الإضراب هذه المرة على لسان الكافرين فـ(بل) جاءت أبطالية اذ أبطلوا إتباعهم لشريعة الله واثبتوا إتباعهم لإبائهم قال أبو البقاء العكبري : (بل هنا للإضراب عن الأول أي لا نتبع ما انزل الله وليس بخروج من قصة إلى قصة)(٧) أي إن (بل) هنا جاءت للإضراب الابطالي وليس للإضراب الانتقالي لأنها تتحدث عن قضية واحدة وهي الإتباع فالإضراب أفاد بيان حالة الكافرين بتمسكهم بمنهج الباطل ويبين لنا حالة الظلمانية

---

(١) ينظر : البحر المحيط ، ج ٤ : ١٠٣
(٢)سورة البقرة : ١٥٤
(٣) ينظر البحر المحيط ، ج١ : ٤٤٨
(٤)سورة آل عمران : ١٧٠
(٥) ينظر التحرير والتنوير ، ابن عاشور ،ج ٢ : ٤٦
(٦)سورة البقرة : ١٧٠
(٧) التبيان ، ج١ :١٣٩

التي يعيشونها بحيث لا يستطيعون ان يميزون بين ما كان عليه آبائهم من الضلال وما يدعون إليه من نور الإيمان وأنى لهم ذلك وهم قالوا {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ }.

{قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ}[1] ان هذا النص أشار إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل قيل هو عُزَير بن شرخيا والقرية التي مر عليها هي بيت المقدس اذ مر على بيت المقدس بعد تخريبها من قبل بختنصرالملك البابلي فنبا بان هذه القرية ستعود وتدب فيها الحياة الا انه لو قال ذلك للناس فسوف يسخرون منه فجعل الأحداث هي التي تحدث الناس وتنبؤهم على قدرة الله فأماته الله مئة عام ثم أحياه ليشهد عمران بيت المقدس ، وليري الناس قدرة الله كيف يحي الموتى فعندما سئل كم لبثت قال يوما او بعض يوم فجاء الإضراب الابطالي ليدحض ظن الذين في قلوبهم شك بالله وقدرته ان المتدة الحقيقة هي مئة يوم فأفاد الإضراب إثبات قدرة الله على كل شي(٢) ، ولا نشك في إيمان نبي الله عزير ولكن الخطاب هنا يماثل قصة إبراهيم (ع)وإحياء الطيور لتكون الدلائل واقعا ملموسا لدى الناس فيكون أكثر وقعا في نفوسهم .

- قال تعالى {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ } ان البخل صفة ذميمة قد مجها الشارع المقدس والأعراف الاجتماعية التي كانت سائدة في العرب حتى رفع من ابتعد عنها وذاع صيته بالآفاق كحاتم الطائي والقران باعتباره دستورا لحياة المسلمين ينظم حياتهم جاء ليبين حقيقة هذه الصفة ومن اتصف بها والظاهر أنّ هذا النص أنزل في شأن أحوال المنافقين ، فإنّهم كانوا يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، كما حكى الله عنهم بقوله(٣): {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ النّاسَ بِالْبُخْلِ }(٤) وكانوا يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضُّوا ، وغير ذلك ، ولا يجوز بحال أن يكون نازلاً في شأن بعض المسلمين لأنّ المسلمين يومئذ مبرّؤون من هذا الفعل ، و اجمع معظم المفسّرين :إنّ الآية نزلت في منع الزكاة ،وهل يمنعها يومئذ إلاّ منافق(٥) . فجاء الإضراب ليبطل دعواهم بأنه خير لهم البخل ومنع الزكاة بل ان الواقع ان ماتبخلون إنما هو شر لكم فبين لنا الإضراب حقيقة البخل بأنه شر وابعد توهم من يرى انه خير وطريقة ناجحة لجمع المال .

---

(١)سورة البقرة : ٢٥٩

(٢) ينظر البحر المحيط ، ج ٢ : ٢٩٢ وروح المعاني ج٣ : ٢٢و التحرير والتنوير ،ج ٢ : ٤٤٣

(٣)سورة ال عمران : ١٨٠

(٤)سورة النساء : ٣٧

(٥) ينظر : معاني القران للزجاج ،ج١ :٤٩٢، والكشاف ،ج١ : ٤٨٣و التحرير والتنوير ، ج٣ : ٢٩٠

- قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا}**⁽¹⁾نزلت هذه الآية في اليهود فعندما هددوا بقوله إن الله **{لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}**(٢) فعندها قالوا لسنا من المشركين بل قالوا نحن خواص الله وقد بين تعالى ذلك بقوله **{نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ}**(٣)وروى ابن عباس رض ان قوما من اليهود جاؤا بأطفالهم إلى النبي محمد ص وقالا : يامحمد هل على هؤلاء ذنب ؟ فقال : لا فقالوا : والله ما نحن الا كهؤلاء ، ما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل . فلما بالغ اليهود في تزكية انفسهم ذكر الله تعالى لا عبرة بان يزكي الإنسان نفسه وإنما العبرة في تزكية الله له ف(بل) في قوله **{بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي}** إضراب إبطالي اذ أبطلت اثر تزكيتهم لنفسهم واثبت تزكية الله لمن يشاء من عباده ومشيئته منوطة بطاعته لأنه تعالى هو المعتد بتزكية عباده فهو العالم ببواطن الأمور فتزكيتهم أنفسهم لاجدوى منها لأنها صدرت ممن لا يملكها فجاء الإضراب لبيان عدم جدوى تزكية أنفسهم واثبات هذه التزكية لله تعالى فقط (٤).
- قال تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}**⁽⁵⁾ ان الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا كثر الناس الناس مالا ، فلما عصوا الله بكفرهم برسوله وتكذيبه ؛ كف عنهم البسط في الرزق حتى قال احد عتاتهم قولته **{يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}**ولم ينكر عليه احد حتى نسبت تلك العظيمة للكل(٦)،ومعناه الوصف بالبخل في العطاء لأنّ العرب يجعلون العطاء معبَّراً عنه باليد باليد ، ويجعلون بَسْط اليد استعارة للبذل والكرم ، ويجعلون ضدّ البسط استعارة للبخل فيقولون : أمسك يدَه وقبَض يده ، ولم نسمع منهم :غَلّ يدَه ، إلاّ في القرآن وهي استعارة قويّة لأنّ مغلول اليد لا يستطيع بسطها في أقلّ الأزمان ، فلا جرم أن تكون استعارة لأشدّ البخل والشحّ (٧) .فرد الله عليهم ذلك بقوله **(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)**أي انه تعالى في غاية الجود والسخاء ، فنعم الله لا تعد ولا تحصى . لذا فان (بل) جاءت ردا وإنكارا لما ادعوه و زعموه في حق الله وإثباتا لنعم الله التي لا ينكرها احد من العالمين

---

(١)سورة النساء :٤٩
(٢)سورة النساء : ٤٨
(٣)سورة المائدة : ١٨
(٤) ينظر : التفسير الكبير ، ج ١٠ : ١٣٠ و ينظر : **الكشاف** ، ج ١ : ٥٣٣والبحر المحيط ، ج٣ : ٢٧٠ وتفسير ابي السعود ،ج٢ : ١٨٨
(٥)سورة المائدة : ٦٤
(٦) ينظر : **الكشاف** ، ج١ : ٦٢٨ و البحر المحيط ، ج٣ : ٥٢٢ و الجامع لاحكام القران ، ج٦ : ٢٣٨
(٧) ينظر : التحرير والتنوير ، ج٤ : ٢٣٤

ويشير الزمخشري بان الإضراب جاء هنا رداوا إنكارا لقولهم وهو ابلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له تعالى ونفي البخل عنه (١).

- قال تعالى {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}(٢) يروي لنا هذا النص مشهدا من مشاهد قصة يوسف ع عندما اجمع إخوته أن يلقوه في البئر فاخذوا قميصه ولطخوه بدم شاة وادعوا ان الذئب اكله كذبا وبهتاننا لذا جاء الوصف بالمصدر مبالغة ، كأنه نفس الكذب وعينه ، كما يقال للكذاب : هو الكذب بعينه ، والزور بذاته الا ان كذبتهم هذه لم تنطوي على نبي الله يعقوب ع ، فزلّ عنهم أن يمزقوه .وروي أنّ يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال : أين القميص؟ فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال : تالله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا ، أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات : كان دليلاً ليعقوب على كذبهم ، وألقاه على وجهه فارتد بصيراً ، ودليلا على براءة يوسف حين قدّ من دبر(٣). يعقوب يعلم ما تخفي نفوسهم من شر اتجاه أخيهم الأمر الذي دعاهم إلى الهم بقتله والكذب على أبيهم حسدا منهم ليوسف فالإضراب هنا أبطل ادعاءهم بان الذئب قد أكله واثبت حقيقة ما بأنفسهم من تسويلات شيطانية أدت بهم إلى إلقاء أخيهم في البئر ومن ثم بيعه للقافلة بثمن بخس كما وصف القران .

- قال تعالى : {قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ}(٤) عندما بالغ قوم لوط في الكفر والإلحاد وإتباعهم الشيطان اقتضت مشيئة الله ان حق عليهم العذاب وكان نبيهم لوط ع فارسل اليه ملكين وهذا النص هو حوار بينه وبين الملكين فمعنى قوله (مُنْكَرُونَ) أي تنكركم نفسي وتنفر منكم ، فأخاف أن تصيبوني بشرّ ، فكان جوابهم : ما جئناك بما تنكرنا لأجله ، بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوّك ، وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله(٥) أي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به به فيمترون ويشكون ويكذبونك فيه ، فقد بينوا له عليه السلام جلية الأمر فأنى يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع قاله العلامة أبو السعود وهو كلام معقول (٦). وجعل (بَلِ) إضراباً عما حسبه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا

---

(١) ينظر الكشاف ،ج١ : ٦٢٨

(٢) سورة يوسف : ١٨

(٣) ينظر : **الكشاف** ، ج ٢: ٢٠٣ و التفسير الكبير ،ج١٨: ١٠٣و تفسير ابي السعود ، ج ٤ : ٢٦٠

(٤)**سورة الحجر** : ٦٢ - ٦٣

(٥) ينظر الكشاف ،ج٣ : ٣١٧

(٦) ينظر تفسير ابي السعود ج٥ : ٨٣

بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك فيه حين تتوعدهم به . فكان الإضراب بوجهين إضراباً عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب وإضرابا عن امتراءهم وتكذيبهم بحلول العذاب(١)، فالإضراب يتضمن الاستئناس من وجهين تحقق عذابهم وتحقق صدقه عليه السلام فمهما تضيق الأمور فان الله ينصر دينه وأنبيائه .

- وقال تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[٢] يخبرنا الله تعالى في هذا النص عن ضعف عقول المنافقين وقلة ثباتهم وإيقانهم، وأنه لا يتصور منهم الإيمان وقد كتب عليهم الشقاوة، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها(٣) ، قالوا للرسول: (إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) فجاء الإضراب لإبطال اختلاق آخر من اختلاقهم على القرآن اختلاقاً مموّهاً بالشبهات كاختلاقهم السابقة ذلك الاختلاق هو تعمّدهم التّمويه فيما يأتي من آيات القرآن مخالفاً لآيات أخرى لاختلاف المقتضي والمقام . والمغايرة باللين والشدّة ، أو بالتعميم والتخصيص ، ونحو ذلك مما يتبع اختلافه اختلاف المقامات واختلاف الأغراض واختلاف الأحوال التي يتعلّق بها(٤) ، فقال تعالى مبيناً: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أي بل اكثرهم لا يعلمون شيئاً أصلاً أو لا يعلمون أن في التبديل المذكور حكماً بالغة ، وإسناد هذا الحكم إلى أكثرهم لما أن منهم من يعلم ذلك وإنما ينكر عناداً(٥) ، فاثبت الاضراب واقع المنافقين وهم قسمين منهم لا يعلم الحكمة في نسخ الأحكام والأخر يعلم إلا انه معاند كفرا وعلوا .
- قال تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[٦]حوار دار بين إبراهيم (ع) وقومه ونلحظ من اسلوبهم أنهم أرادوا تأويل كلامه بمزح والتلطّف معه وتجنب نسبته إلى الباطل استجلاباً لخاطره لما رأوا من قوة حجته اذ لم يصفوه بـ(لاعب) بل وصفوه أنه من زمرة اللاعبين مبالغة في توغل كلامه ذلك في باب المزح بحيث يكون قائله متمكناً في اللعب ومعدوداً من الفريق الموصوف باللعب والاستفهام ليس على ظاهره بل هو استفهام مستبعد متعجب فجاء الرد عليهم من قبل إبراهيم(ع) بالإضراب عن قولهم : { أَمْ أَنْتَ

---

(١) ينظر : البحر المحيط ،ج٥ : ٤٦١وينظر : **روح المعاني** ، ج١٠: ٤٠

(٢)**سورة النحل** : ١٠١

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحـ: **سامي بن محمد** سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ج٤ :٦٠٤

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ج٨ : ١٢٩

(٥) ينظر : **روح المعاني** ، ج١٠ : ٣٠١

(٦) سورة الانبياء : 55-56

مِنَ اللَّاعِبِينَ } لإبطال أن يكون من اللاعبين ، وإثبات أن ربهم هو الرب الذي خلق السماوات ، أي وليست تلك التماثيل أرباباً إذ لا نزاع في أنها لم تخلق السماوات والأرض بل هي مصنوعة منحوتة من الحجارة (١)، فابطل قولهم واثبت حقيقة دعوته لله الذي خلق السموات والأرض فإذا كانت آلهتكم حقيقة فماذا خلقت وأنى لها أن تخلق وهي مخلوقة .

- **قَالَ تَعَالَى: {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا}(٢) ان هذا النص يمثل مشهد من مشاهد يوم القيامة وطرفي الحوار فيه هم فئتين من الناس المستكبرين وهم أصحاب القول الفصل في قومهم والفئة الأخرى المستضعفين وهم إتباعهم الذين يطيعون ما يسمعون منهم من أوامر فالمستضعفين يجعلون سبب عدم إيمانهم بالله هو منع المستكبرين لهم عن ذلك فلولا انتم لكنا مؤمنين إلا أن الجواب يأتي من قبل المستكبرين مضربين عن قولهم هذا منكرين ان يكونوا سبب عدم هدايتهم وإنما السبب الحقيقي هو أنكم كنتم قوما مجرمين في حقيقة أنفسكم واثبتوا ذلك بقولهم: **{كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ}** أي ان ذلك باختياركم ، فيرد عليهم المستضعفين بإضراب آخر يبطلون فيه الإضراب الأول بقولهم: **{مَكْرُ اللَّيْلِ** وَالنَّهَارِ} ان الكفر وعدم الايمان بالله لم يكن من قبلنا كما تدعون بل كان من جهة مكركم لنا دائبا في الليل والنهار وحملكم ايانا على الشرك والكفر والى هذا المعنى أشار الزمخشري (٣)، والقرطبي(٤) ، والبيضاوي (٥). ف(بل) في كلا الموضعين وردت أبطالية فالإضراب هنا أفاد إثبات حقائق وهو ان كل متبع سوف يتبرا يوم القيامة ممن اتبعه وليس هذا فحسب بل ينعته بالجرام في حق الله ويبين لنا أن حقيقة نفوس المتبعين بالأصل هي مريضة فالحقائق التي جاء بها أنبياء الله لا يمكن ان تحجب بمكر الماكرين كذلك أفاد أن للمتبوعين اليد الخفية في ظلام الليل سعيا في إظلال أكثر عدد مكن من الناس .
- **وقَالَ تَعَالَى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** }(٦) نزل هذا النص في بني أسد وهم من أقوام التي

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، ج٩ : ١٧٤
(٢)سورةسبا : ٣٢-٣٣
(٣) ينظر الكشاف ، ج ٣ : ٢٩٠ -٢٩١
(٤) ينظر الجامع لاحكام القران ،ج١٤ : ٣٠٣
(٥) ينظر : تفسير البيضاوي : ٥٦٧و البحر المحيط ج٧: ٢٨٣ وتفسير ابي السعود ،ج٧ : ١٣٤ و **روح المعاني** ،ج٢٢ : ١٤٥
(٦)سورة الحجرات : ١٧

دخلت للإسلام طوعا دون كره ، فبدؤا يمنون على الرسول (ص) دخولهم للإسلام طوعا، فقالوا : لم نقاتلك كما قاتلك محارب وغَطَفان وهوازن وقالوا : وجئناك بالأثقال والعيال فرد عليهم مضربا عما ادعوه من المن في دخولهم الإسلام فبطل دعواهم وأثبت بحرف الإضراب (بَل) أن ما مَنُّوا به إن كان إسلاماً حقاً موافقاً للإيمان فالمِنَّة لله لأنْ هداهم إليه فأسلموا عن طواعية . وسماه الآن إيماناً مجاراة لزعمهم لأن المقام مقام كون المنّة لله فمناسبة مُوافقة لزعمهم أنهم آمنوا ، أي لو فرض أنكم آمنتم كما تزعمون فإن إيمانكم نعمة أنعم الله بها عليكم . ولذلك ذيله بقوله **(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** فأفاد الإضراب هنا أولاً نفى أن يكون ما يمنّون به حقاً ، ثم أفاد ثانياً أن يكون الفضل فيما ادعوه لهم لو كانوا صادقين بل هو فضل الله إذ هداهم للإيمان .

المبحث الثاني

بلاغة الإضراب الانتقالي

يعرف الإضراب الانتقالي بأنه :(هو الخروج من قصة إلى قصة من غير إبطال) (١)وعرفه ابوحيان بأنه انتقال من شئ إلى أخر من غير إبطال لما سبق.(٢)ويرد الإضراب الانتقالي عن مفرد وعن جملة فمثال وروده مفردا قولك : ماجاءني زيد بل عمرو فبعد أن أخبرت عن مجئ زيد خفت أن يتوهم ذلك عن عمرو فقلت:(بل عمرو) أي (بل عمرو جاء) فجاءت بل هنا للانتقال من خبر إلى خبر دون إبطال الأول .ومثال مجيئها جملة قولك : جاء زيد بل اكرمت خالد اذ أردت ان تخبر عن مجيء زيد فأضربت انتقالا إلى إكرامه ، وقد ذهب بعض العلماء منهم ابن الحاجب وابن مالك الى القول بان الإضرابالوارد في القر ان هو للانتقال فقط الا ان النصوص اثبتت ان كلا النوعين موجودين وقد بينا ذلك في المبحث الأول ، وبلاغة الإضراب الانتقالي تلخص في حالة الانتقال بالألفاظ من معنى الى معنى اخر يغاير المعنى الاول وهذا مايعطي السامع حالة من الإذعان والانتباه لسرعة الانتقال بالمعاني وتعدد الصور في نص قد لا يتجاوز الكلمات ، ومن المعاني التي يفيده الإضراب الانتقالي هو التخصيص وسيتضح ذلك جليا من خلال النصوص القرآنية لتي سوف نوردها ونبين الإسرار البلاغية وراء الانتقال الذي أفاده الإضراب . ونجد ان الإضراب الانتقالي هو الأكثر ورودا في كتاب الله لان الفاصل في كون الإضراب ابطاليا أو انتقاليا انه أن كان المقول عن الخلق كان ابطاليا وان كان المقول عن الله كان الإضراب انتقاليا لانه لا إبطال في قول الله تعالى .

نماذج من الإضراب الانتقالي في القران :

- قال تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ

---

(١) المصباح المنير مادة ((**بل**)) .

(٢) ينظر البحر المحيط ،ج٤ :١٠٣.

وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ }⁽¹⁾ ورد الإضراب هنا للانتقال لان مقول القول لله وهو مما لا يخالجه أي إبطال فانتقل من المعنى الأول وهو بيان حقيقة فطرية في نفس الإنسان وهو إذا كان في شدة وحيدا كان يكون في بحر وانكسر به المركب فان قلبه سوف يتعلق بالله دون أدنى شك وينسى ما كان يكفر به ، فبعد أن بين هذه الحقيقة انتقل الى حقيقة أخرى هي أنكم ستدعون الله لا محال وليس هذا فحسب بل إنكم إذا دعوتموه وانتم بهذا الحال من الانقطاع إليه فانه تعالى سوف يستجيب لكم وينجيكم وسوف تنسون كل من سواه مما أشركتم به وما كنتم تجادلون كفرا بالله و (بل) (٢)(هنا للإضراب والانتقال من شيء إلى شيء من غير إبطال لما تضمنه الكلام السابق من معنى النفي لأن معنى الجملة السابقة النفي وتقديرها ما تدّعون أصنامكم لكشف العذاب وهذا كلام حق لا يمكن فيه الإضراب يعني الإبطال)⁽٣⁾ .

- قال تعالى: {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ }⁽٤⁾ ورد هذا النص في بيان حقيقة قوم لوط وقصتهم معروفة في القران فالحقيقة الأولى التي بينها النص هي واقعهم وهو إتيانهم الرجال شهوة من دون النساء بعده أورد بل لينتقل إلى حقيقة ما هم عليه وهي حقيقة الإسراف فالإضراب الوارد هو إضراب انتقالي عن الإنكار المذكور إلى الإخبار بما أدى إلى ذلك وهو اعتياد الإسراف في كل شيء أو إلى بيان استجماعهم للعيوب كلها(٥) . ويحتمل أن يكون إضراباً عن غير مذكور وهو ما توهموه من العذر في ذلك أي لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف والخروج عن الحدود ، فخرج من قصة إلى قصة تنبئ بأنهم متجاوزو الحد في الاعتداء(٦) ، وقيل إضراب عن تقريرهم وتوبيخهم والإنكار أو عن الإخبار عنهم بهذه المعصية الشنيعة إلى الحكم عليهم بالحال التي تنشأ عنها القبائح وتدعوا إلى اتّباع الشهوات وهي الإسراف وهو الزيادة المفسدة لما كانت عادتهم الإسراف أسرفوا حتى في باب قضاء الشهوة وتجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد(٧).
- قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ

---

(١)سورة الانعام : ٤٠ – ٤١
(٢) ينظر : روح المعاني للآلوسي ،ج ٧ : ١٤٩
(٣) البحر المحيط ، ج٤ : ١٢٨وينظر : الجامع لاحكام القران ،ج٦ : ٤٢٣، والدر المصون ج٤ : ٦٢٨.
(٤)سورة الاعراف : ٨١
(٥) ينظر : روح المعاني ، ج٨ ١٧٠
(٦) ينظر : البحر المحيط ، ج ٤: ٣٣٤ وتفسير اب السعود ، ج٣ : ٢٤٥
(٧) ينظر : الكشاف ، ج٢ : ٩٢

هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[١] ان هذا الخطاب يخص عالمين من العوالم التي خلقها الله تعالى وأمرها بعبادته (عالم الجن وعالم الإنس) ، ف(ذرأ)معناها خلق وقد جاء في كتب التفسير في بيان ذلك ، إنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلائق، علم ما هم عاملون قبل كونهم، فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة(٢) ، كما ورد في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء} [٣]

وقيل : (يراد به أولاد الزنا ، لمسارعتهم إلى الكفر لخبث نطفهم)(٤) فهم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم . وجعلهم أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحقّ ، ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر ، كأنهم عدموا فهم القلوب، وإبصار العيون واستماع الآذان(٥) . وجعلهم كأنهم مخلوقين للنار ، دلالة على على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار هذا الخبر الأول والحقيقة الأول التي وردت في النص في بيان حال من طبع على قلبه ، بعده أورد قوله مضربا عن الأمر الأول منتقلا إلى أمر ثاني هو اشد في وصفهم فقال : ((بَلْ هُمْ أَضَلُّ)) أي من الأنعام لأنها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار فتجهد في جلبها وسلبها غاية ما يمكنها وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لم يميزوا بين المنافع و المضار بل يعكسون الأمر فيتركون النعيم ويقدمون على العذاب الأليم ، وقيل : لأنها إذا زجرت انزجرت وإذا أرشدت إلى طريق اهتدت وهؤلاء لا يهتدون إلى شيء من الخيرات . وقيل : لأنها لم تعط قدرة على تحصيل الفضائل وهؤلاء أعطوا ولم ينتفعوا بما أعطوا ، ولأنها وإن لم تكن مطيعة لم تكن عاصية وهؤلاء عصاة فهم أسوأ حالاً منها . وقال بعضهم : لأنها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه ، اذن فهؤلاء اضل للامور التي اشرنا اليها ولأمور أخرى لم تذكر فالإضراب أعطى لنا صفة من لم يطع الله صورتين اثبت الاولى ثم انتقل الى الاخرى الأولى ان هؤلاء منذ ان خلقهم الله تعالى هم غير مستعدين لتقبل

---

(١)سورة الاعراف : ١٧٩ .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحـ: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ج٣: ٥١٣ .

(٣) صحيح مسلم حديث رقم : ٢٦٥٣

(٤) تفسير ابن عبد السلام، عز الدين بن عبد السلام ،ج٢ : ١٨٧

(٥) ينظر : الكشاف ج٢ : ٣١٤

الطاعة لله وذلك كائن في علم الله وصورة أخرى هي انه وصفهم كالأنعام ثم تعدى الوصف البهيمي بل هم أضل من الأنعام لان الأنعام لها بعض المدركان وما توفر لهؤلاء من سبل المعرفة والطاعة ما لو توفر للبهائم لأطاعت الله (١).

فقال تعالى: {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}(٢) في هذا النص خطاب أقوام كافرة لنبيهم وهم قوم نوح فيحاولون أن يثبتون أن لا فضل لنوح عليهم لكي يختاره الله نبيا عليهم بقولهم (مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا) ثم يوغلون في بيان حججهم بان الذين اتبعوك ما هم إلا الأراذل من قومنا ولا نرى لكم فضلا ظاهرا تتميزون به علينا ثم يختمون وصفهم هذا بإضراب عن ما ذكروه منتقلين إلى وصف أكثر إساءة وهو أنهم وصفوهم بأنهم كاذبين ، فأفادت (بل) إضرابا انتقاليا إذ انتقل الملا من قوم نوح من خبر إلى خبر في وصفهم نوح ومن تبعه وأوردوا صفة الكذب بعد الإضراب إنما أرادوا زيادة المبالغة فيوصفهم بالكذب (٣).

- قال تعالى: {قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ}(٤) ان الله تعالى امر رسوله في هذا النص بان يسألهم تقريعا وتوبيخا عمن يحفظهم أيام بأس الله حتى يقروا وينتبهوا إلى قدرة الله فيتوقفوا عن الاستهزاء ثم اضرب بقوله (بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ) أي دعهم يامحمد لان هذا السؤال لا يؤثر فيهم لإعراضهم عن ذكر الله فهم مستمرون على إعراضهم سواء ذكروا ام لا . فالإضراب هنا انتقل بين مستويين للتقريع ، الأول التقريع المجعول للإصلاح منتقلا إلى التأسيس من صلاحهم بأنهم عن ذكر ربهم معرضون فلا يُرجَى منهم الانتفاع بالقوارع ، أي أخِّرْ السؤال والتقريع واتركهم حتى إذا تورّطوا في العذاب عرفوا أن لا كالئ لهم (٥).
- قال تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ}[6] ان في هذا النص تسلية للرسول محمد (ص) وهو يرى الكافرين يتنعمون بنعم الله تعالى وهم يكفرون به ، فقوله ((أَيَحْسَبُونَ)) الاستفهام إنكاري وتوبيخ على هذا الحسبان سواء كان هذا الحسبان حاصلاً لجميع المشركين أم غير

---

(١) ينظر : روح المعاني ، ج٦ : ٤٤٩
(٢) سورة هود : ٢٧
(٣) لم اجد في كتب التفسير التي رجعت اليها من اشار الى هذه الاية ، وبناءا على ما رايته في الآيات السابقة ذكرت رأيي
(٤) سورة الانبياء : ٤٢
(٥) ينظر : الكشاف ، ج٢ ٥٧٣، والبحر المحيط ،ج٦ : ٣١٤و تفسير ابي السعود ، ج ٦ : ٩٦ ، وروح المعاني ، ج١٧ : ٥١.
(٦)سورة المؤمنون : ٥٥-٥٦

حاصل لبعض ، لأن حالهم حال من هو مظنة هذا الحسبان فينكر عليه هذا الحسبان لإزالته من نفسه أو لدفع حصوله فيها(١) . ثم بين حقيقة ما هم فيه من أموال وأولادوبيّن أنّ هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي ، و استدراجاً إلى زيادة الإثم ، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ، وفيما لهم فيه نفع وإكرام ، ومعاجلة بالثواب قبل وقته .ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين لكي لا يكون لهم نصيب من خير الآخرة ويكون مصيرهم جهنم وبيس المصير ، وينتقل بنا الإضراب ببل الى بيان حقيقة أخرى أنهم رغم استدراجهم هذا فأنهم لا يشعرون بما يراد بهم وبذلك كانوا كأشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور(٢).

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}(٣) في هذا النص ضرب الله مثلا مخاطبا النبي محمد قل يامحمد لقومك هذا المثل : ما تقولون في رجلين احدهما : من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع : كل واحد منهم يدعي أنه عبده ، فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة ، وإذا عنت له حاجة تدافعوه ، فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره ، لا يدري أيهم يرضى بخدمته؟ وعلى أيهم يعتمد في حاجاته .و المملوك الآخر : قد سلم لمالك واحد وخلص له ، فهو معتنق لما لزمه من خدمته ، معتمد عليه فيما يصلحه، فهمه واحد وقلبه مجتمع ، أيُّ هذين العبدين أحسن حالاً وأجمل شأناً؟ والمراد من هذا المثال بيان حال من يعبد آلهة شتى ، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ، ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا ، ويبقى هو متحيراً ضائعاً لا يدري أيهم يعبد؟ وعلى ربوبية أيهم يعتمد؟ وممن يطلب رزقه؟ وممن يلتمس رفقه؟ فهمه شعاع وقلبه أو زاع ، و حال من لم يعبد إلا إلها واحداً ، فهو قائم بما كلفه ، عارف بما أرضاه وما أسخطه ، متفضل عليه في عاجله ، مؤمل للثواب من آجله ، فهل يستويان مثلا(٤) ، هذه حقيقة بينها هذا النص ثم اضرب الى حقيقة أخرى وهو بيان إن أكثر الناس لا يعلمون يقول ابو السعود في تفسيره : (بل إضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان إن أكثر الناس ، وهم المشركين لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ، فيبقون في ورطة الشرك والضلال)(٥)

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ، ج٩ : ٣٧٦

(٢) ينظر : الكشاف ، ج٣ : ٣٥، والبحر المحيط ، ج٦ : ٤١٠،وتفسير ابي السعود ،ج٦ : ١٣٩.

(٣)سورة الزمر : ٢٩

(٤) ينظر الكشاف ، ج ٦ : ٦٢

(٥) تفسير ابي السعود ، ج٧ : ٢٥٣. وينظر الفتوحات الالهية ، ج٣ : ٦٠٠، وروح المعاني ، ٢٣ : ٢٦٣.

- وقال تعالى {وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ }(١)حوار دار بين نبي رسول الله (ص) وبين الكافرين في امر عيسى فسألوه ايهم خير آلهتنا ام عيسى ؟ ، فبين الله لرسوله إن هؤلاء ما أرادوا في كلامهم هذا طلب الحقيقة وإنما أرادوا الجدل والخصام ، ثم اضرب عن ذلك إلى الإخبار بما هو اسوأ ، وهو أنهم قوم خصمون أي مجبولون على الجدل واللجاجة . فأفادت بل هنا الإضراب الانتقالي التدريجي من صورة فضيعة إلى الافضع (٢).
- قال تعالى {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ }(٣)في معركة بدر الكبرى إذ رأى المشركون عدتهم وعددهم ، فأخذتهم العزة بالإثم فكان قولهم :{نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ }(٤) ، فرد عليهم الله تعالى بقوله : ((سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ))ولم يكتفِ الله في هزيمتهم في الدنيا بل بين مقامهم في الأخرى فجيء بالإضراب الانتقالي لينتقل إلى معنى آخر وهو بيان عاقبتهم بالآخرة ، فأنهم سيجدون من عقاب الله ما هو اشد من هزيمتهم في الدنيا فانتقل بنا الإضراب من عذاب شديد خسران المعركة والهزيمة الى ما هو اشد وهو عذاب الله في الآخرة(٥) .
- قال تعالى :{إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ }(٦) ، أي ملزمون غرامة غرامة ما إنفقنا ، أو إنا لمكرهون بالغرامة من غرم الرجل وأصل الغرم والغرام لزوم المكروه ، أو إننا مهلكون لهلاك أرزاقنا ثم اضرب عن ذلك منتقلا إلى أمر آخر هو أهم من الأمر الأول لذا اضرب منتقلا إليه وهو إنهم محرومون من الرزق والحرمان هذا نتيجة أعمالهم التي أردتهم وأهلكت أموالهم ومنعتهم منها(٧).

---

(١)سورة الزخرف : ٥٨

(٢) لم ارى في كتب التفسير من تكلم عن معنى ((بل)) في هذه الاية فذكرت رايي قياسا على ما سبق ذكره .

(٣)سورة القمر : ٤٥ - ٤٦

(٤)سورة القمر : ٤٤

(٥) ينظر البحر المحيط ،ج٨ : ١٨٣

(٦)سورة الواقعة :٦٦ -٦٧

(٧) ينظر تفسير ابي السعود ، ج٨ : ١٩٨ و روح المعاني ، ج٢٧ : ١٤٩ .

المبحث الثالث

بلاغة الإضراب عن جملة محذوفة

إن الإضراب قد لا يتحقق بعض الأحيان الا بتقدير كلام محذوف ، وهذ ما يطلق عليه الإضراب عن جملة محذوفة ومن خلال مطالعة كتب التفسير لم أجد أحدا من المفسرين أشار إليه كأحد أقسام الإضراب بل وجدته متداخلا بين القسمين السابقين ، إلا إني وجد ذلك عند الأستاذ محمد عبد الخالق عظيمة في كتابه دراسات لأسلوب القران(١) ، فأفردت له مبحثا لبيان الأوجه البلاغية في الإضرابعن جملة محذوفة ، فالحذف لا ياتي جزافا بل ان هناك صور اً فنية لا تتحقق الا بالحذف ، لذا لم نجد له تعريفا كسابقيه فضلا عن ذلك فان الآيات التي تنظم الى هذا القسم ليس كثيرة اذا ما قسناها بالإضراب الابطالي والانتقالي وسوف نعرض الآيات الدالة على هذا القسم من الإضراب مشيرين إلى بلاغة الإضراب التي توفرت من خلال حذف الجملة .

نماذج من الاضراب عن جملة محذوفة في القران :

- قال تعالى **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ }**(٢) ان هذا النص ذي دلالة واضحة على ان المقياس الحقيقي لافعال ابن ادم هو منهج الله الذي جاءَ به انبيائه جيلا بعد جيل ، وان الدعوة الى اتباع ما كان عليه الاباء ما هو الا طريق الشيطان الذي يؤدي الى عذاب السعير كما يصف القران الكريم ، ورد في هذا النص اضراب عن جملة محذوفة والتقدير(لانتبع ما انزل الله بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا) (٣) وإبرازه بصورة بصورة الغائب له دلالة على عظمة الدعوة الى الله فقد اظهر الدعوة الى الله عندما لم تكن مسبوقة بنفي وكانت بصيغة الامر(اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) وعندما وصل الحال الى ذكر قولهم بعدم اتباع ما انزل الله أخفى هذا النص المسبوق بنفي (لا نتبع ما انزل الله) وهو من صور الجمال في استخدام الحذف في النص القراني فضلا عن معنى الايجاز التي افاده الحذف هنا .

---

(١) ينظر : دراسات لاسلوب القران الكريم ، المجلد الثاني – **القسم الاول** ج ٢ :

(٢)**سورة البقرة** : ١٧٠

(٣) ينظر : البحر المحيط ، ج١ : ٤٨٠ ، وينظر : **الجامع لاحكام القران** ، ج٢ : ٢١٠

وقال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ }(١) ان هذا الخطاب موجه الى منكري يوم القيامة ، فالله يلومهم على عدم التدبر والاتعاظ بالتفكر في حكمة الله تعالى ، وجاء الاضراب هنا اضراب عن جملة محذوفة والتقدير (فلم يعتبروا ويتعظوا لما جرى لسابقيهم بل قالوا....)(٢) فلوا لم يكن هناك جملة محذوفة لما كان للاضراب وجود لان لو لاحظنا النص بحسب الظهر نجد ان انتقل من اسلوب الخطاب الى الغيبة وهذا ما يجعل الأسلوب التفاتا وليس إضرابا وتكون بل عاطفة وليس للاضراب فيكون التقدير المحذوف موفق لما اضرب {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ} فكلا القولين بصيغة الغيبة(٣).

- قال تعالى : {قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ }(٤) ان الاضراب الوارد في النص اضراب عن جملة محذوف والتقدير : لم افعله {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ} وقصد نبي الله ابراهيم بهذا القول تبكيتهم واقامة الحجة عليهم فانه لو كان اله حقا فانه يستطيع ان يفعل وان لم يقدر فليس هو باله(٥) .

وقال تعالى : {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ }(٦) ان هذا احتجاج على ان القران من عند الله ، لان النبي (ص) كان لا يقرا ولا يكتب ، ولو كان يعرف القراءة والكتابة لدب الشك في نفوس الكفار وعلى الرغم من هذا ساورهم الشك حتى قالوا انما كتب له ا وقرا عليه فتعلمه وهنا جاء الاضراب عن جملة محذوفة والتقدير (ليس القران مما يرتاب فيه لوضوح امره بل هو {آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ} والمسوغ للحذف هو ان المحذوف مفهوم من كلام سابق ولا جدوى من الاطالة في ذكره وهو صورة من صور الايجاز البلاغي التي يزخربها القران (٧).

---

(١) سورة المؤمنين : ٨٠ -٨١
(٢) ينظر : البحر المحيط ،ج٦ : ٤١٨، وروح المعاني ،ج١٨ : ٥٧.
(٣) ينظر التحرير والتنوير ،ج ٩ : ٤٠٠
(٤) سورة الانبياء : ٦٢ -٦٣
(٥) ينظر البحر المحيط ، ج٦ : ٣٢٤
(٦)سورة العنكبوت : ٤٨ - ٤٩
(٧) ينظر : روح المعاني ،ج ٢١ : ١٢

- فاستفتهم{ أهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ *بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ }^(١) ان الاضراب الوارد في هذا النص على وجهين احدهما اضراب عن جملة محذوفة دل عليه (فَاسْتَفْتِهِمْ) والتقدير (أي هم لا يقرون ولا يجيبون بما هو الحق) ، وهو ماذكره الأستاذ محمد عبد لخالق عظيمة في كتابه (دراسات في أسلوب القران الكريم) ولولا وجود هذه الجملة المحذوفة لما كان إضراب في النص (٢).
- قال تعالى:{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ }^(٣) ان الإضراب الوارد في النص إضراب عن جملة محذوف والى هذا المعنى يشير ابو السعود في تفسير هذه الآية بقوله (إضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام ، كان قيل : جعلها كلمة باقية في عقبه ، بان أوصى بها بنيه ، رجاء ان يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحد ، فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرون للرسول (ص) من اهل مكة بالمد في العمر والنعمة، فاغتروا بالمهلة ، وانهمكوا في الشهوات ، وشغلوا عن كلمة التوحيد)(٤) أي فعندما لم لم يرجعوا ، لم يعاجلهم الله بالعقوبة ، بل أعطاهم النعم في المال ، والصحة ،وإرسال الرسول، فوجب عليهم أن يشكروا منعمها ، فلم يفعلوا المرجو منهم بل زاد في طغيانهم بسبب الغرور الذي ملا صدورهم (٥). وبعدَ (بل)كلام محذوف دلّ عليه الإبطال وما بعد الإبطال، وتقديرُ المحذوف :(بل لم يرجع هؤلاء وآباؤهم الأولون إلى التوحيد ولم يتبرأوا من عبَادة الأصنام ولا أخذوا بوصاية إبراهيم)(٦).
- قال تعالى : {قۤ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ *بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ }^(٧) إن الإضراب الوارد في النص ينبئ عنه جواب القسم المحذوف ، ، لبيان حالهم الزائد في الشناعة على عدم الإيمان والكفر والعناد ، وكان قيل : والقران المجيد أنزلناه إليك لتنذر به الناس فلم يؤمنوا به بل جعلوا النذُرْ والمنذِرْ به عرضة للتكبر والتعجب ن أو التقدير : والقران المجيد انك لمنذر ، ، ثم قيل بعده ، انهم شكوا

---

(١)سورة الصافات : ١١ – ١٢
(٢) ينظر : الفتوحات الالهية ، ج٣ : ٥٣٢ وروح المعاني ،ج ٢٣ : ٧٦
(٣)سورة الزخرف : ٢٨ – ٢٩
(٤) تفسير ابي السعود ، ج٨ : ٤٥
(٥) ينظر : روح المعاني ، ج٢٥ : ٧٧
(٦) ينظر : التحرير والتنوير ، ج١٣ : ٢٠٠
(٧)سورة ق : ١ - ٢

فيه ثم اضرب عنه الى جزمهم بالخلاف حتى جعلوا من الامور العجيبة (١). والى هذا المعنى أشار الالوسي (٢).

- قال تعالى: {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ }[٣] أي الله يمسك رزقه بإمساك المطر وسائر مباديئه والإضراب هنا عن جملة محذوفة فهو مُنْبِئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل أثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتوهم ونفورهم عنادا واستكبارا(٤) وهذا ما عرف به المشركون على مر العصور ولكن عاقبتهم الخسران فلم تنفعهم اللجاجة والنفور .
- قال تعالى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً }[5] جاء الاضراب هنا عن جملة محذوفة والتقدير يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة والمراد بالتذكرة كل شي يذكر بالله من دلالات وايات باهرات اذهلت العقول ولكن بسبب كفرهم وطغيانهم فهم لا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها ويجوز أن يراد كتباً كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وفيه بعد وذلك على الوجهين أنهم قالوا لرسول الله (ص) إن سرك أن نتابعك فأت كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان(٦) ، وهذا يدلل على بعد الضلال الذي هم فيه فقلوبهم كالحجارة الصماء الصماء التي لا تستجيب لشئ .
- قال تعالى: {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا }(٧) إضراب عن جملة جملة محذوفة تقدر ينساق إليها الكلام كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة فتسعون

لتحصيلها . والخطاب اما للكفرة فالمراد : إيثار الحياة الدنيا والرضا والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة والخطاب هنا للكل(٨) .

---

(١) ينظر تفسير ابي السعود ، ج٨ : ١٢٥، والبحر المحيط ، ج٨ : ١٢٠

(٢) ينظر : روح المعاني ،ج٢٦ : ١٧٢.

(٣)سورة الملك : ٢١

(٤) ينظر تفسير ابي السعود ج ٩ : ٩ ، وروح المعاني ،ج٢٩ : ٢٢

(٥)سورة المدثر : ٤٩ - 52

(٦) ينظر :تفسير ابي السعود و روح المعاني ، ج٢٩ : ١٦٨.

(٧)سورة الاعلى : ١٥ – ١٦ .

(٨) ينظر تفسير الكشاف ، ج٤ : ٢٤٥والبحر المحيط ، ج٨ : ٤٦٠ .

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله اولا و آخرا ، والصلاة على محمد واله وصحبه ومن والاه ، وبعد .. فإن نهاية كل طريق نهاية ونحن قطعنا شوطا في مسيرتنا مع الإضراب في القران. الآن وقد وصلنا الى نهاية المطاف، سوف نعرض بضاعتنا التي حصلنا عليها من خلال هذه المسيرة بين آيات الله البينات وبين مآثر أفذاذ الأمة من علمائنا الأعلام الذين اناروا لنا طريق المعرفة بمداد أقلامهم ، فالإضراب ضرب من ضروب الأسلوبلقر آني وبتوفيق الله كان عنوان بضاعتنا هذه وحاولنا ان نبرز ما لهذا الأسلوب من التفاتات بلاغية مستنيرين بما ورثناه من أسلافنا من علماء ومفسرين وقد انتهيت من البحث بالصورة التي هو عليها الان . ولا أقول ان ما توصلت اليه هو الغاية والذروة في الأمر إلا أن لكل إنسان جهداً وهذا جهدي وما توفيقي إلا بالله . وقد تمخضت عن هذا البحث جملة من النتائج سوف أشير إليها على النحو الآتي :

- ان هناك الكثير من العلماء ممن أشار الى معنى الإضراب إلا أن أدق من بينه وحدد معناه هو الرضي في شافيته .
- يقسم الإضراب الى ثلاثة أقسام هي (إضراب إبطالي ، إضراب انتقالي ، إضراب عن جملة محذوفة) وكل واحد من هذه الأقسام يمثل مفصلا من مفاصل البحث .
- هناك جملة من الحروف أفادت معنى الإضراب إلا إن أشهرها (بل) لذا اقتصرنا عليها في بيان هذا الأسلوب القرآني .
- اعترض عدد من العلماء منهم ابن يعيش النحوي وابن مالك على وجود الإضراب الابطالي في القران محتجين ان لا إبطال في كلام الله .
- ذهب جملة من العلماء الى جواز وجود الإضراب الابطالي في القران والمتابع للنصوص القرآنية يلحظ ذلك جليا وكان توجيه ذلك ان الكلام ان كان كلام الكفرة وأهل الباطل فانه إضراب إبطالي وان كان عن الله فانه إضراب انتقالي .
- يمثل الإضراب الابطالي صورة من صور الفن الأسلوبي في عرض المفردة القرآنية ، فعندما يبطل أمرا ويثبت آخر نراه في حالة من التحول من صورة وهذا يوفر حالة من الالتفات لدى السامع .

- يوفر لنا الإضراب الابطالي صورتين متناقضتين في نفس مشهد النص وهذا يعطي للسامع حالة من التمييز بين الصور القرآنية .
- ان النصوص التي جاءت بالإضراب الابطالي وبالخصوص ما كان ابطالا لكلام الكفرة تمثل صورتين متناقضتين في مشهد واحد فالسامع من خلال اتضاح هاتينِ الصورتين عنه من خلال أسلوب الإضراب يستطيع ان يحدد الحق والباطل .
- يمثل الإضراب الانتقالي الضرب الثني من الإضراب ونجد انه الأوسع مساحة في النص القرآني ، اذا يعطينا صور متعددة في نفس النص اذ لا إبطال فيه .
- يوفر لنا الإضراب الانتقالي حالة من الإيجاز في عرض الحقائق في نص قد لا يتجاوز بضع كلمات وهذا من أسرار إعجاز كتاب الله الخالد.
- التدريج في عرض المعلومة من الفوائد الاخرى للاضراب فمثلا عندما يعرض مشهدا من مشاهد اهوال القيامة فانه يصور ذلك بالتدريج وهكذا الأشد فالأشد .
- ان حالة الانتقال بين الصور التي يوفرها الاضراب الانتقالي يطي للنص حالة من الحركية والحيوية فلا يكون نصا ميتا .
- يُعَدُّ الإضراب عن جملة محذوفة من أقسام الإضراب ولكن وجدته في بعض المصادر مندكا في القسمين السابقين ولم أجد أحداً افرد له بابا إلا الأستاذ محمد عبد الخالق عظيمة في كتابه (دراسات لاسلوب القران الكريم) .
- يوفر لنا الاضراب عن جملة محذوفة أُفقًا واسعًا للنص ، اذ يفتح لنا باب التقدير بما يلائم الجملة ، وهذا يعطي عمقًا للمعنى المراد من النص .
- يعد الاضراب عن الجملة المحذوفة بحثا في غياهب الغيب فالمضرب عنه غير موجود وهذا يحث السامع على البحث في عالم المفرادات .

هذا الذي ذكرته هو مجمل ما توصلت اليه من نتائج ، ارجوا ان اكون قد وفقت في عرض مادة بحثي هذا بما يلائم الاطار العام للدراسة القرانية ومن الله التوفيق وهو خير معين ..والحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع :

١. القران الكريم .

٢. الأصول بلن السراج ، تحقيق : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .

٣. الإيضاح في شرح المفصل ، لابن الحاجب ، تحقيق : الدكتور موسى بناي العليلي ، مطبعة العاني بغداد ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م .

٤. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م .

٥. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، هكذا وجدتها في الموسوعة الشاملة.

٦تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، الجزء الثالث ، تحقيق ك عبد الكريم العزباوي ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٣٨٦هـ . ١٩٦٧م .

٧. التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع .

٨. تعجيل الندى بشرح قطر الندى ، تأليف عبد الله بن صالح الفوزان ، الموسوعة الشاملة .

٩. التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني ، ضبطه وحققه مجموعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣م .

١٠. تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القران العظيم) لعماد الدين ابي الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ هـ . ١٩٦٦م .

١١. تفسير ابي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم)، لأبي السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، دار إحياء التراث العربي . بيروت .

١٢. تفسير البيضاوي ،(انوار التنزيل واسرار التاويل) للقاضي الشيخ محمد بن احمد كنعان . دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

١٣. تفسير الفخر الرازي المسمى (مفاتيح الغيب او التفسر الكبير) لأبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، دار الفكر .

١٤. تفسير ابن عبد السلام ، عز الدين بن عبد السلام ، الموسوعة الشاملة .

١٥. الجامع لاحكام القران ، للقرطبي تحقيق : احمد عبد العليم البردوني ، دار احياء التراث العربي - بيروت .

١٦. جامع البيان عن تاويل أي القران، لابي جعفر الطبري ، دار الفكر ـ بيروت ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤.

١٧. الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحقيق : الدكتور طه محسن . المكتبة الوطنية ، بغداد ، ١٩٧٥ م .

١٨. حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، دار احياء الكتب العربية .

١٩. دراسات لاسلوب القران الكريم ، تاليف الاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ، مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

٢٠. الدر المصون في في علوم الكتاب المكنون ، لاحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق : الدكتور احمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

٢١. روح المعاني في تفسير القران العظيم و السبع المثاني ، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٢٢. شرح الكافية ، للرضي الاسترباذي ، تحقيق : يوسف حسن عمر ، مطابع الشروق ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

٢٣. شرح المفصل لابن يعيش النحوي ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

٢٤. الصحاح للجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٢٥. صحيح مسلم ، بشرح النووي ، الطبعة المصرية .

٢٦. الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه بمصر .

٢٧. القاموس المحيط ، للفيروز ابادي .

٢٨. كشاف اصطلاحات الفنون ، التهاتوني ، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر . دار الكتاب العربي .

٢٩. الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لابي البقاء الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣٠. لسان العرب ، لابن منظور ، دار الفكر ، بيروت .

٣١. مختصر المعاني ، سعد الدين التفتزاني ، مكتبة يعسوب الدين الالكترونية .

٣٢. معاني القران واعرابه ، للزجاج ، تحقيق : الدكتور عبد الجليل عبدة شبلي ، عالم الكتب ، بيروت الطبعة الاولى ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م .

٣٣. المعجم الوسيط ،قام باخراج هذه الطبعة : الدكتور ابراهيم انس والدكتور عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله احمد ن الطبعة الثانية .

٣٤. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق الدكتور مازن مبارك والأستاذ محمد علي حمد الله ، دار الفكر ن الطبعة الثانية .

٣٥. المقتضب ، للمبرد ، تحقيق : الأستاذ عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ١٣٩٩هـ .